التكرار في لغة الشعر

المدرس المساعد : رواء جواد ابراهيم
raw86jawaj@uomustansiriyah.edu.iq

إن دراسة الموسيقى الشعرية للنص الشعري لا تكتمل إلا بشقيها الخارجي المتمثل بالوزن والقافية والداخلي متمثلاً بالإيقاع الذي تحدثه حركة الأصوات الداخلية عن طريق ترابط وتفاعل الألفاظ داخل النص الشعري وما تنتجه القيمة الفنية لتلك الأصوات ومدى ارتباطها مع بعضها، فالإيقاع هو "الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر، وهذا ما يؤكد أن ما يحصل من انسجام وتوافق بين حروف الألفاظ، وحتى الألفاظ نفسها المؤلفة للنص الشعري يلقي بتأثيره في المتلقي، وما يؤكد ذلك أن "ليس الوزن والقافية كل موسيقى الشعر، فللشعر ألوان من الموسيقى تعرض في حشوه، وشأن موسيقى الإطار تحتضن موسيقى الحشو في الشعر شأن النغمة الواحدة تؤلف فيها الألحان المختلفة في موسيقى الغناء فإذا كان في الشعر عنصر قارّ لا بد من الانطلاق منه والرجوع إليه، فإنما هو عنصر الموسيقى، وهذا الإيقاع الداخلي بوصفه جزءاً من البناء الموسيقى في الشعر تعددت الآراء في وصفه فمنهم من يرى فيه "النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر، إنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقي، فيما رأى بعض النقاد أن الشعر لا يمكن أن يحقق موسيقاه بالإيقاع الخارجي فحسب بل يحققها "أولاً بالإيقاع الخاص لكل كلمة أي كل وحدة لغوية لا تفعيلة عروضية للبيت، وثانياً بالجرس الخاص لكل حرف من الحروف الهجائية المستعملة في البيت، وتوالي هذه الحروف في كل كلمة من الكلمات المستعملة ثم الجرس المؤتلف الذي تصدره الكلمات في اجتماعها في البيت كله، ثم في تتابعها في البيت بعد البيت في كل قصيدة أو قسم من قصيدة"، فيمكن القول إن الموسيقى الداخلية تمثل أداة للربط بين الألفاظ والحالة النفسية للشاعر والتي يبرز عن طريق الجرس الموسيقي الداخلي مجسداً لصورة الشاعر المشحونة بحالته النفسية وهذه الموسيقى الداخلية تبرز لها عدة أنواع ومن ذلك:

- التكرار: يعد التكرار من الأساليب التي يميل إليها الشعراء في نصوصهم الشعرية، ولم تقتصر في غرض أو زمن شعري معين، ولم يخل التكرار من إشارات القدماء والمحدثين. إذ وصفه الجاحظ بـ (الترداد) بالقول: "إنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، و إنما ذلك على قدر المستمعين، أما المحدثون فجاءت آراءهم متقارب فقد عرفه بعضهم أنه "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره، في حين أشارت نازك الملائكة للتكرار بإنه "إلحاح على جهة هامة في العبارة، يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وبذلك فإن "التكرار لم يكن صنعة يتقصدها الشعراء و إنما كان ضرباً من ضروب النغم يترنم به الشاعر ليقوي به جرس الألفاظ و أثرها، ومما لا شك فيه أن للتكرار أثره في تعزيز موسيقى النص الشعري المعاصر، ومن ذلك ما جاء في قصيدة الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد (في رحاب الحسين).

1-تكرار الحرف: ويعد هذا النوع من أبسط أنواع التكرار و أقلها؛ لأن يخلق في النفس نغمة موسيقية لافتة للنظر. نجد أن الشاعر كرر في هذا المقطع حرفا (الفاء – والواو) ثمان مرات، وحرف(الياء) خمس مرات ولكل من حرف (الجيم والحاء) أربع مرات، مما خلق إيقاعاً موسيقاً متناغماً يتسم بالجهر.

فما ساوَمَت نفسَها في الخَسار وَلا ساوَمَتْها على المَغنَمِ
ولكنْ جثَتْ وجفونُ الحسين تَرفُّ على ذلك المَجثَمِ

ففي هذا المقطع نجد تكرار حرفي العطف (الواو والفاء) والجر (في وعلى) لتحمل إيحاءات دلالية تنسجم مع الموقف الذي يحاول الشاعر التعبير عنه أو تصوير

ويا سيّدي يا أعَزَّ الرجال يا مُشرَعاً قَطُّ لم يُعجَمِ
ويا بنَ الذي سيفُهُ ما يَزال إذا قيلَ يا ذا الفَقارِ احسِمِ

وفي هذا المقطع جسد الشاعر أسلوب النداء بـ (يا) للدلالة على التنبيه تارةً والتعظيم تارة أخرى.

2-تكرار الكلمة أو اللفظة: وهو الأكثر شيوعاً؛ إذ وردت في مواضع عدة من هذه القصيدة لأنه "يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها" ومن ذلك: سلامٌ عليك فأنتَ السلام وإن كنت مخضباً بالدمِ

و أنتَ الدليلُ إلى الكبرياء بما ديسَ من صَدركَ الأكرمِ

و أيضاً:

سلامٌ على (الحُرِّ) في ساحتيك ومقحمهِ جُلَ من مقحَمِ
سلامٌ عليه بحجمِ العذاب وحجم تمَزقهِ الأشهمِ
سَلامٌ عليه وعتبٌ عليه عتبَ الشغوفِ به المغرمِ

ويعرف هذا النوع من التكرار أيضاً بالتكرار الأفقي، فتكرار الكلمات يبعد النص الشعر عن الرتابة، وهو أسلوب يستخدمه الشاعر لإثراء نصه، والتأثير بالمتلقي.

3-التكرار بالجمل: يلجأ الشاعر في بعض الأحيان إلى هذا النوع من التكرار أو ما يعرف "بتكرار المقطع الشعري" وقد ورد هذا النوع من التكرار في مواضع؛ إذ عمد الشاعر إلى" إدخال تغيير طفيف على المقطع المكرر والتفكير السايكولوجي لجمال هذا التغيير، أن القارئ قد مر به هذا المقطع يتذكره حين يعود إليه مكرراً في مكان آخر من القصيدة، وهو بطبيعة الحال يتوقع توقعاً غير واعٍ أن الطريق قد اختلف، وأن الشاعر يقدم له في حدود ما سبق أن قرأه لوناً جديداً .ومن ذلك ما جاء في هذا المقطع:

فمذ كنت طفلاً رأيت الحسين مناراً إلى ضوئه أنتمي
ومذ كنت طفلاً وجدت الحسين ملاذاً بأسواره أحتمي
ومذ كنت طفلاً عرفت الحسين رضاعاً وللآن لم أفطم

نستنتج مما سبق اللغة الشعرية هي الركيزة الأساسية في النص الأدبي ومادته الأولية وتجربة الشاعر الإبداعية؛ لأنها تصور الفكر والعواطف الإنسانية بكل مستوياتها فهي ليست تعبير لغوي فحسب، إنما هي خلق و ابتكار وتجديد في الألفاظ والمعاني والصور، إذ تمكن الشاعر من توظيف الموسيقى الداخلية متمثلةً بتكرار الحروف والكلمات والأفعال والجمل في عدة مواضع من القصيدة، وهذا يكشف أهمية اللفظ المكرر في بناء النص الشعري، فضلا عن كشف تجربة الشاعر و انفعالاته النفسية، ورؤاه الفكرية.

==========